

## منهج (التعلم الحواري) وآلية توظيفه في السايكودراما عند جاكوب مورينو

مريانا "محمد أمين" محمود العلوانة، يحيى سليم سليمان عيسى\*

### ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تعرّف منهج التعلم الحواري، وآلية توظيفه في السايكودراما عند العالم النفسي جاكوب مورينو. وسيتناول البحث عدداً من الطرق، والفنيات، التي اعتمدت منهج التعلم الحواري في السايكودراما، مثل: تأويل الأداء المعوق، قلب الدور، مناجاة النفس، المرأة، أسلوب النمذجة، أو التعلم الاجتماعي وغيرها. ويمكن لهذه الدراسة أن تحقق الفائدة للمؤسسات الأكاديمية، التي تُعنى بالمرح والتربية وعلم النفس، وللباحثين والعاملين في المجالات النفسية والتربوية، وفي المجال المسرحي عبر ترسيخ منهج التعلم الحواري كأسلوب للعلاج النفسي من خلال استخدام المسرح.

الكلمات الدالة: التعلم الحواري، السايكودراما، المسرح التفاعلي، التواصل الشفوي.

### المقدمة

يدور بين فردين أو أكثر حول قضية ما، وهو يأخذ أشكالاً متعددة (شفهية وكتابية)، ويكون على شكل عرض وجهات نظر مختلفة، أو إضافات أو مداخلات وتعقيبات، وبالرغم من تنوع طرائق التعلم إلا أن التعلم الحواري يبقى من الأساليب الناجحة التي أثبتت تأثيرها في المتعلمين، وقد كان لهذا المنهج أثره البالغ على الطبيب، والمنظر المسرحي (جاكوب مورينو) الذي بلور رؤيته حول السايكودراما، حيث سخر عمله المسرحي لعلاج المرضى النفسانيين، إذ سعى إلى تطبيق منهجه على نزلاء السجون ومصحات الأمراض العقلية لترسيخ منهج خاص بحل المشكلات النفسية، لهذا جاءت هذه الدراسة للتعرف على منهج التعلم الحواري وآلية توظيفه في السايكودراما عند مورينو، حيث اعتمد الباحثان في دراستهما المنهج الوصفي التحليلي، ويمكن للدراسة أن تحقق الفائدة للباحثين والعاملين في المجالات التربوية وفي المجال المسرحي عبر ترسيخ أسلوب تربوي تعليمي علاجي من خلال استخدام المسرح، يمكن له أن يواكب تطورات العصر، ويتغلب على كثير من المشكلات الاجتماعية والنفسية التي تطرأ على المجتمع.

### مشكلة الدراسة

تعد السايكودراما مزيجاً من الدراما وعلم النفس، وهي واحدة من الوسائل التي ابتكرها العقل العلمي الحديث لعلاج المرضى من أزماتهم النفسية، والاشتغال على توظيف الفن في العلاج النفسي ليس ابتكاراً حديثاً، وإنما جاء منذ بداية الإنسانية، فقد

يشكل منهج التعلم الحواري آلية من آليات الطرق التفاعلية في التعليم، حيث يدفع المتعلم باتجاه التفاعل مع الموقف التعليمي، وبالتالي مساهمته في الوصول إلى المعرفة، ويقوم هذا المنهج على تبادل الأفكار وإشراك المتعلمين في العملية التعليمية، ويهدف إلى تنشيط التفكير والربط بين المعطيات، ويعمل على تبادل الأفكار والمعلومات ومقارنتها للوصول إلى ترابطات جديدة، وبالتالي إلى تعلم جديد.

لكن المنهج الحواري أخذ دوره في علاج المرضى النفسانيين لاسيما في السايكودراما، التي تطورت من خلال جاكوب مورينو، حيث تم استخدامه للوقوف على طبيعة الأزمات المتعلقة بالمرضى النفسانيين، لذلك "لا يمكن لدارس في حقل الدراما في التربية أن يقصي جانباً الحوار كنشاط كلامي جوهري في الفعل الدرامي سواء أكانت هذه الدراسة دراسة تأسيسية نظرية أم تطبيقية، لأن الحوار في حقيقته يقتضي تعدد وجهات النظر وتنوعها، والدراما هي ادراك لموقع الآخر من أجل ادراك صوته" (1).

إن منهج التعلم الحواري يتأسس من خلال الحوار الذي

كلية العلوم التربوية، الجامعة الأردنية، الأردن (1). كلية الفنون والتصميم، الجامعة الأردنية، الأردن (2). تاريخ استلام البحث 2016/03/08، وتاريخ قبوله 2016/06/16.

المعلم والتلاميذ بقصد ايصالهم تدريجياً، وعن طريق الاستجواب إلى كشف حقيقة لم يكونوا يعرفوها من قبل، فهي ترمي إلى توصيل المعلومات إلى المتعلمين بالمساءلة والمناقشة" (3).

وهو أيضاً: "أسلوب علمي تعليمي، تستخدم فيه الأسئلة والأجوبة لإثارة الأذهان وتحريك الوجدان بقصد إزالة فكرة خاطئة من النفوس، أو تعليم أمر جديد أو حسم موضوع يدور حوله الخلاف، وذلك بتبادل الآراء والأفكار فيما بينهم بهدف الوصول إلى الحقيقة" (4).

وقد تبني الباحثان تعريف (ابراهيم) كتعريف إجرائي لبحثهما.

## 2- السايكودراما (psycho drama):

ذهب (عيسوي) إلى أن السايكودراما هي: "منهج لمساعدة المريض للتطهير النفسي عن طريق تمثيل أدوار مختلفة على خشبة المسرح، وتصمم فيها الأدوار بحيث تكشف معاني هامة في بعض العلاقات الاجتماعية عند المريض" (5).

وذهب (السندي) إلى أنها: "المسرح النفسي. لكن المعنى الأوسع والتطبيقي له هو (علاج المرضى النفسانيين عن طريق المسرح) أي أن السايكودراما تعد طريقة من طرق العلاج النفسي الجمعي. وهي وسيلة تسعى إلى استنباط أو استخراج المشاعر الكامنة في النفس، وعمل المشكلات الشخصية وتعابيرها، وذلك عن طريق أدوار مسرحية تتسم بالعفوية، وهي بذلك عمل جمعي يتركز حول تمثيل المشاعر العاطفية" (6).

وعرفها (الحفني) بأنها: "ضرب من العلاج النفسي يطلب فيه من المريض أن يمثل دوراً في مسرحية تكتب بشكل خاص، حيث تصور أعراضه ومشكلاته، وتتصل هذه الطريقة في العلاج بمناهج الإسقاط وقياس العلاقات الاجتماعية، ويسمى الأشخاص المشتركين في التمثيلية غير المريض الأنوات المساعدة" (7).

وعرفها (سوين) بأنها: "استراتيجية علاجية جماعية تضمن أن يكون هناك عدة معالجين لمريض واحد، وذلك من خلال تشجيع المريض أو العميل على تمثيل مشاهد مختلفة من حياته بشكل يؤدي إلى وجود استبصارات حقيقية، وتغيرات فعلية تحدث عندما يتاح له أن يعبر بالسلوك عن مشاعره" (8).

التعريف الإجرائي: يتفق الباحثان مع ما جاء في التعريفات السابقة لتحديد التعريف الإجرائي للسايكودراما في بحثهما.

## منهج التعلم الحوارية: أسسه ومنهجيته

لازمت البذور التربوية الأولى الإنسان منذ الطفولة، ونتيجة للممارسات الخاطئة للعائلة التي تقضي على التلقائية، وتكبت

"أدرك الإنسان القديم في بدايته أهمية الفنون في ضمان الصحة وفي علاج المرضى، وقد لا يبتعد الباحث عن الحقيقة في افتراضه بأن الفن، وخاصة الصوت في الموسيقى والغناء أو الترنيم أو النشيد، كان أول أسلوب علاجي لجأ إليه الإنسان البدائي في رفع المعاناة عنه كما يتضح ذلك من الممارسات العلاجية البدائية حتى الآن في حياة أقوام بدائية في المكسيك وأفريقيا والهندود الحمر والجزر البولانيزية والأيسكو وغيرهم" (2).

وهذا التصور الأولي لدور الفن في العلاج النفسي أخذ منهجية حقيقية على يد العالم (جاكوب. ل. مورينو)، الذي ابتكر السايكودراما كأداة عملية للعلاج الجماعي، حيث تطور استخدام هذا الأسلوب العلاجي كنظرية أدائية تم التأسيس من خلالها لحل المشكلات النفسية لدى الأفراد، التي ظهرت على نطاق واسع، وقد قدم مورينو تجربته في السايكودراما من وجهة نظر عالم نفسي، مؤكداً استخدام المسرح في معالجة الاضطرابات العقلية والعصبية عند المشاركين عبر تعزيز صيغة العمل والأداء الجماعي، مما أتاح الفرصة للمرضى التعاون فيما بينهم لتحقيق الشفاء من أمراضهم، وقد اعتمدت هذه الإجراءات على منهج التعلم الحوارية كآلية للإشتغال في السايكودراما، وعليه فإن هذه الدراسة قد هدفت إلى الإجابة عن السؤال الآتي:

ما آلية توظيف منهج (التعلم الحوارية) في السايكودراما عند جاكوب مورينو؟.

## أهمية الدراسة

تتبنى أهمية الدراسة من خلال تناول منهج (التعلم الحوارية)، وآلية توظيفه في السايكودراما عند جاكوب مورينو، وتسعى الدراسة لتوضيح طبيعة الفنيات المستخدمة في السايكودراما، ومدى اشتغالها على توظيف منهج التعلم الحوارية بهدف علاج المرضى النفسانيين، ويمكن لهذه الدراسة أن تحقق الفائدة للمؤسسات الأكاديمية التي تعنى بالمسرح والتربية وعلم النفس، وللباحثين والعاملين في المجالات النفسية والتربوية وفي المجال المسرحي.

## هدف الدراسة

تهدف الدراسة إلى التعرف على منهج التعلم الحوارية، وآلية توظيفه في السايكودراما عند العالم النفسي جاكوب مورينو.

تحديد المصطلحات:

1. التعلم الحوارية: ذهب (ابراهيم) إلى أن طريقة التعلم الحوارية هي: "طريقة تفاعلية تقوم على أساس الحوار بين

الحوار ينكشف الانسان أمام الاخرين وأمام ذاته أيضاً" (11)،  
وحيثما يتبادل المعلم والمتعلم أدوارهما، فإن كلا منهما يتعلم من  
الأخر، ويصبح موضوع الحوار الذي يدور في الغالب حول  
أوضاع المضطهدين الحيائية ومعاناتهم هو المدخل إلى  
تعليمهم، ولا يقتصر دور التلاميذ في التعلم الحواري على  
الاستماع فقط، بل يتحاورون مع معلمهم بصورة ايجابية.

إن التعلم الحواري يتم من خلال معلم واع يتفهم منذ البداية  
الجوانب الإنسانية في المشاركين، وهذا النوع من التعلم يركز  
على الإدراك أكثر مما يركز على نقل المعلومات، حيث تنشأ  
بين المعلم والمتعلم علاقة حوارية تساعدهما على الوعي بمادة  
التعلم التي تقف في وضع وسطي بينهما، وهذا المنهج يستند  
على قاعدة معالجة المشكلات وذلك بطرح التحديات التي  
تواجه المجتمع الذي يعيش فيه أبناء الجنس البشري، "قالفعل  
الحواري كنوع كلامي يتحرك في سياق لغوي / اجتماعي،  
بمعنى أن اللغة هي بنية مؤسساتية اجتماعية هائلة، وهي  
مشتركة بين جميع أفراد الأمة وثقافتها، ولكن الكلمة فيها هي  
نصف شيء آخر، ولا تصبح مملوكة لواحد إلا حينما يمنحها  
المتكلم نواياه الخاصة ولهجته الشخصية" (12)، وبذلك فهي  
تعتبر عن المشكلات الاجتماعية للمتكلم وعن رؤيته للواقع.

وإذا كان التعلم الذي يقوم على التلقين (البنكي) يسير في  
اتجاه واحد، أي من المعلم إلى المتعلم، فإن أسلوب التعلم  
الحواري يسير في كلا الاتجاهين، حيث يتبادل فيه طرفا  
العملية التعليمية المعرفة من خلال عملية الحوار، فدور المتعلم  
هنا لا يقتصر على الاستماع فقط، بل يشارك بالنقد والبحث  
والحوار مع المعلم حول الموضوعات المراد علاجها والبحث  
فيها، وبذلك فإن عملية التعلم الحواري تعرض المشكلات  
والقضايا لأجل البحث والتحليل مما يؤسس للقدرة على الفهم  
والإدراك في حل المشاكل.

وقد تحدث (روبن ألكسندر) عن الخصائص التي تميز  
التعلم الحواري، وكان من بينها أنه "تعليم جماعي، حيث  
يتطرق المعلمون والمتعلمون معاً لمهام التعلم، سواء أكان  
كمجموعة أم كفصل، وليس بشكل فردي، كذلك فهو تعليم داعم  
للمتعلمين ويساعدهم في التعبير عن أفكارهم بحرية، دون  
الخوف من الحرج بسبب إجابات خاطئة، ويساعد بعضهم  
بعضاً للتوصل إلى فهم مشترك، وهو أيضاً تبادلي، حيث  
يستمتع المعلمون والمتعلمون إلى بعضهم، حيث يتشاركون  
الأفكار ووجهات النظر المختلفة، وهو أيضاً تصاعدي، حيث  
يقوم المعلمون والمتعلمون بالبناء على أفكارهم وأفكار الآخرين،  
ويربطها في خطوط متناسقة من التفكير والبحث الهادف، حيث  
يخطط المعلم و يهيئ للتعلم الحواري في ضوء أهداف تعليمية

تطور الفردية الأصلية للإنسان في سبيل استئصال حرته، فقد  
درجت العادة على سيادة نوع من التعلم الذي يقوم على التلقين،  
وهو يمثل نمطا سلبيا في المجتمع لكونه من أخطر الصور  
التربوية التي تدعم ذلك الواقع، ومن "أهم ما يميز التعلم  
التلقيني هي لهجته المتعالية وعدم قدرته على إحداث التغيير.  
(...)، أما الطلاب فينحصر دورهم في الحفظ والتذكر وإعادة  
الجميل التي سمعوها دون أن يتعمقوا مضمونها، وليس من  
هدف لهذا التعلم التلقيني سوى تعويد الطلاب أسلوب التذكر  
الميكانيكي لمحتوى الدرس وتحويلهم إلى أنية فارغة يصب فيها  
المعلم كلماته الجوفاء" (9)، وهذا الأسلوب يقدم لنا المتعلم  
بوصفه مستقبلا فقط، حيث تودع فيه المعلومات دون أن يكون  
له دور تشاركي في العملية التعليمية مما يقلل فرص الإبداع  
لديه، بل قد يلغيها تماماً.

إن طرق التعلم ما زالت تلقينية إجمالاً، وهي تذهب في  
اتجاه واحد من المعلم الذي يعرف كل شيء ويقوم بالدور  
النشط، إلى المتعلم الذي جهل كل شيء، ويفرض عليه دور  
التلقي الفاتر دون أن يشارك أو يناقش أو يمارس أو يعمل فكره  
فيما يلقي، وبالطبع لا تساعد هذه الطرق على اكتسابه التفكير  
النقدي الجدلي، ولا تكسبه الصيغ العلمية في النظر إلى  
الأمر، إنه في أحسن الأحوال يحفظ العلم دون أن يستوعبه  
من خلال علاقة تسلطية من قبل المعلم الذي لا يسمح بمناقشة  
أخطائه، وليس من الوارد الاعتراف بها بينما على الطالب أن  
يطيع ويمتثل، وهذه العلاقة هي التي تعزز النظرة الانفعالية  
إلى الوجود، وهي مسؤولة إلى حد بعيد عن استمرار الذهنية  
المتخلفة" (10).

وهذا النوع من التعلم لا يمكن له إحداث القدرة على  
التغيير، إذ إن رأي المتعلم هنا يبدو مصادراً في ظل الامتثال  
هنا لسلطة المعلم الذي لا يسمح للمتعلم بالتعليق على أخطائه،  
وليس من الوارد الاعتراف بها في ظل تلك العلاقة التسلطية،  
فمنهج التلقين يعزز من فكرة الرضوخ والتبعية لرغبات المعلم  
لاسيما بعد أن تصبح الدونية قدراً مفروضاً على المتعلم الذي  
قد يتبع مظاهر التزلف لمعلمه طمعاً في رضاه، ويكون ذلك  
النهج على حساب سلامة العملية التعليمية، لكن سياقات التعلم  
الحواري تؤسس على النقيض من ذلك لمنهج طرح المشكلات،  
وهو يتعامل مع التعلم هنا بوصفه سبيلاً للتداعي الحر ومن ثم  
العلاج النفسي، فالحوار يعد وسيلة التخاطب والتفاهم بين  
الشخصيات، "إذ إنه استناداً إلى نظرية باختين في مجال  
الحوار، فإن الذات الإنسانية تتكشف عن طريق الحوار،  
وينكشف الانسان في انسان، فالحوار ليس مجرد قاطرة يستقلها  
المرء كي يصل إلى مبتغاه، بل هو حدث في حد ذاته، فعبر

إن ثقافة الحوار تتطلب وجود متحاورين اثنين على الأقل، إذ إن "صوت مفرد لا ينهي شيئاً، ولا يحل شيئاً، صوتان اثنان هما الحد الأدنى للحياة، هما الحد الأدنى للوجود" (16)، وهذه الثقافة هي التي تجعل الإنسان يعبر عن موقفه إزاء المشكلات التي تنتامي في دواخله، التي سببت انعزاله عن التكوين الاجتماعي، وهو حينما يتحاور مع الآخرين إنما يعبر عن موقفه، وعن موقف الجماعة الصامتة، فاتباع أسلوب تعلم تحريري يقوم على الحوار من شأنه أن يؤسس القدرة على تفسير المشكلات التي تلقي بظلالها على حياة الفرد، وهكذا فإن منهج التعلم الحواري يتأسس من خلال آليات تحريرية جديدة من حيث طبيعتها وفلسفتها وأهدافها، حيث يؤسس المتحاورون لشكل العمل الجماعي من خلال علاقة تعاونية لتطوير العالم بعد فهمه وتمييزه، رغم اختلاف هؤلاء الناس في المستوى الفكري، "وإذا كانت الأنا اللاحوارية تحول الأنت إلى مجرد شيء، فإن الأنا الحوارية . كما يقول مارتين بوبر. تترك أن الأنت قد أدركت واقعها، وأن المحتم أن تدخل مع الأنا في علاقة جدلية من أجل تغيير العالم، وهكذا فلا تحتل نظرية العمل الحواري وجود جماعة يقتصر دورها على السيطرة وتستخدم في ذلك حقاً غير شرعي في الامتلاك" (17)، ومثل تلك الجماعة تنتقي قدرتها على السيطرة في ظل وجود تعاون بين الأفراد لأن التعاون يشكل ركيزة من ركائز العمل الحواري وهو يقود المجتمع لمعرفة الواقع ومواجهة تحدياته عبر الحالة التشاركية بين الأفراد، فالعمل الحواري يهدف إلى إحداث الاتفاق في وجهات النظر بين المتحاورين من أجل احتواء المتناقضات.

#### توظيف منهج التعلم الحواري في السايكودراما عند مورينو

نتيجة لأوضاع السياسية والاجتماعية التي ألمت بالبرية مع بداية القرن العشرين، ظهرت الحاجة لوجود علاجات لكثير من الأمراض البايولوجية والنفسية، وكان طبيعياً أن يبرز دور المسرح في ذلك عبر الإفادة من علم النفس ومقوماته في العملية الإبداعية، "إذ يمكن لعلم النفس أن يفسر الجذور الغريزية للدافع نحو التمثيل، وكذلك الدافع نحو تأليف الموسيقى، إنه يمكنه أن يفحص تلك العلاقة الثنائية بين المؤدي والمتلقين، وهي العلاقة التي تشمل على بعض العمليات الاجتماعية: كالتوحد أو التماهي وسحر الشخصية أو قوة حضورها، والولع أو الاعجاب الشديد أو الافتتان والتيسير الجماعي. يمكن لعلم النفس أيضاً أن يصف الطريقة التي يتم من خلالها انتقال الانفعالات إلى المتلقين من خلال عمليات غير لفظية، كالأوضاع الخاصة بالجسم، والتعبير الذي يرسم

محددة" (13)، وبذلك فالتعلم الحواري يحقق مزيداً من الاستيعاب، وهو يسهم في جعل المتعلم مواطناً فعالاً في مجتمعه، حيث يساعده على التفكير بطرق مختلفة، وتنمية مستوى الوعي مما يحقق الرقي بمستوى الثقافة في المجتمع من خلال تعزيز الأسلوب الحواري ذي النزعة النقدية.

إن الحوار هنا هو الكلمة التي تتجاوز في مدلولها الحقيقي قيمتها كوسيلة يتحقق بها الحوار، وذلك لما تتميز به من بعدي الرؤية والفعل، "فقيمة الكلمة العملية تقوم على ما في داخلها من رؤية، والعمل من غير رؤية يلغي حقيقة الحوار ولا يتحقق به شيء على الإطلاق، والكلمة هي الوسيلة التي يغير بها الرجال العالم من حولهم لأنها تمكنهم من معرفة العالم، والحوار يشكل أسلوب المواجهة الذي يغير به الرجال عالمهم، وهو بالتالي إبداع وإعادة إبداع لا يمكن لها أن تتم في غياب الحب الذي هو أساس الحوار بل لعله هو الحوار نفسه، ولما كان الحب موقفاً شجاعاً لا يحفل بالخوف فإنه يعترف بالآخرين وحقهم في الحياة وهو حق يتمثل في تحقيق الحرية لهم، وإلغاء القهر هو وحده الذي يحقق الحب لأن الاضطهاد يعارض الحب بالضرورة، فإذا لم نحب العالم والحياة والناس فلن يكون في مقدورنا أن نقيم معهم أي نوع من الحوار" (14)، فالحوار الذي يقوم على الحب والتواضع وعدم اليأس من جدواه، يؤسس للثقة وللعلاقة الأفقية بين المتحاورين معززا قدراتهم الإبداعية والنقدية في فعل التغيير، وهو بالتالي علاقة تضامن وتشارك بين المتحاورين لمعرفة العالم وإدراكه، لتشكل الصفة الحوارية للتعلم مظهراً من مظاهر الحرية، والتي تتخذ من القضايا الملحة موضوعاً لحوار المعلم مع طلابه مما يسهم في تنمية الوعي بوقائع العالم، وتنمية مهارات الإصغاء وتبادل المعلومات لدى المشاركين.

إن الحوار لكي يكون مثمراً يجب أن تتوفر فيه بعض الشروط، "فلا يمكن أن يوجد حوار في غياب حب عميق للعالم والحياة والناس، ولا يمكن أن يتم حوار مع وجود نزعة الاستعلاء على الآخرين، أو الشعور بالتفوق عليهم، ولا يوجد حوار دون وجود الأمل، فاليأس نوع من الصمت، من إنكار العالم والهرب منه، كذلك يشترط للحوار توافر الإيمان القوي بالإنسان، والثقة في قدرته على الخلق، والتحرر من العبودية والسيطرة والاستغلال مع ضرورة الثقة المتبادلة بين الناس، ولا يمكن أن يقوم حوار دون أن يتضمن تفكيراً ناقداً، لا يفصل بين الإنسان والعالم، أو بين التفكير والممارسة، وينظر إلى الحقيقة على أنها عملية مستمرة وليست شيئاً ثابتاً جامداً، فقيمة الحوار هو السمة الأساسية للإنسان، والسبيل إلى المعرفة، وأسلوب العمل الاجتماعي" (15).

التلفظ، فإنه يتضمن ما ينتجه النشاط الإنساني في المجال اللغوي، سواء أكان شفويًا أم كتابيًا، وهو يعرف، تحديداً، بكيونته التي تعرف على شكل تلفظات فردية ملموسة يمارسها المشاركون في مجالات عديدة من مجالات النشاط الإنساني الإجمالي" (21).

إن منهج التعلم الحوارى يؤسس وعبر العلاج النفسى لخلق علاقة مباشرة مع الجمهور، وذلك بالخروج من مفهوم الجدار الرابع الذى عرف عند الطبيعىين من أجل تعزيز مبدأ المشاركة، "ومسرح المشاركة يسعى إلى إقحام جمهور النظارة والممثلين فى تجربة مشتركة.. ويعطى المتفرجين ما يركزون عليه أكثر من مجرد قصة وبعض الشخصيات" (23)، فالعروض المسرحية التى تستخدم منطقة عرض غير محددة من شأنها إقحام المتلقى فى عملية المشاركة العقلية والعاطفية التى هى سمة أساسية من سمات مسرح العلاج النفسى، وهذا ما يؤشر حالة اتساع مسرح الأحداث لتوضيح المعاناة التى تعيشها الجماهير بشكل صريح وواضح، عبر تفعيل روح المشاركة الجماعية وتوحيد المصير مع الموجودين من مرضى أو فنيين أو مشاهدين.

إن السيكودراما هى طريقة من طرق العلاج النفسى الجمعى، وهى تسعى لتحقيق التطهير النفسى عن طريق التنفيس، أو الإفراغ النفسى واكتساب أنماط سلوكية جديدة، وحينما يتم اللجوء إليها لعلاج المرضى النفسانيين والمشكلات الاجتماعية، فإن المعالجين يحاولون استخراج المشاعر الكامنة فى النفس الإنسانية وتعبيرها، وذلك عن طريق أدوار مسرحية تتسم أحياناً بال عفوية، وهذا النوع من الدراما هو تقنية "علاجية، وقائية، تعليمية، تدريبية، يصبح استخدامها فى الدراما المسرحية عبر مختلف مستوياتها أحد أبرز الأدوار التنموية الجديدة للمسرح فى علاقته الإيجابية بالمجتمع. ولأن الدراما حاجة نفسية على مستوى التمثيل والإخراج، ومختلف عناصر الإبداع وقبلها التأليف، وعلى مستوى التلقى، يصبح استخدام السيكودراما ممتزجة بمنهج الاشتباك بين الممثلين والمشاهدين خطوة تنفيذية للعلاقة الإيجابية بين المسرح والمجتمع" (24)، حيث يعمل ذلك على تنشيط الأفراد ذهنياً ووجدانياً وحركياً وصهرهم داخل الجماعة المسرحية لإعادة تأهيلهم نفسياً واجتماعياً بعد تخليصهم من راسب الأزمات العالقة بهم، وحينما يقوم الفرد هنا بمجموعة من الأدوار المسرحية فإنه يحاول إبراز طاقاته وأحاسيسه الشعورية للانتقال من مرحلة الانطواء إلى مرحلة الانبساط وبالتالي الخروج إلى مجتمعه بشكل سوي ليمارس حياته بشكل طبيعى.

وإذا كانت السيكودراما تقنية مسرحية علاجية تستهدف الفرد

على الوجه" (18)، ولا يتوقف علم النفس عند ذلك، وإنما يتدخل إيجابياً باختيار النظريات الخاصة بالأداء وبالأنواع المسرحية، ويطرق التأثير بالمتلقى والسيطرة على أحاسيسه ومشاعره.

لكن دراسة المسرح تبقى أيضاً دراسة عظيمة ومفيدة بالنسبة لعلماء النفس، "وذلك لأن المسرح يمثل جانباً حيوياً مهماً من جوانب الحياة، فالاهتمامات والصراعات الإنسانية الجوهرية تمثل على خشبة المسرح وفى الأفلام السينمائية، ليس لمجرد التسلية، ولكن أيضاً من أجل اكتشاف الذات، ومن أجل التطهير الانفعالي، ومن أجل توليد طاقة حافزة على التغيير الاجتماعى" (19).

وشكلت تجربة الطبيب النفسى (جاكوب. ل. مورينو) إحدى التجارب المهمة فى توظيف المسرح فى العلاج النفسى، وقد برزت أهمية تجاربه حينما استخدم فن المسرح لتحليل أفعال الإنسان، ودوافعه النفسية بهدف العلاج، فانطلق فى ذلك من كون المسرح يعد شريحة من الحياة، وقد تأثر مورينو بعلم الاجتماع وعلم النفس بوصفهما من العلوم التى تركز على بناء شخصية الإنسان بوصفه كائناً اجتماعياً، "لقد كان مفهوم مورينو عن المسرح مفهوماً راديكالياً للغاية فجمهوره لم يكونوا مجرد متفرجين، وإنما كانوا مشاركين فاعلين فلم يكن هناك مقاعد إذ إن الوقوف ساعد على وجود ردود أفعال واضحة صريحة، كما سمح بحرية الحركة من محور فعل درامى إلى آخر، أو حتى الصعود فوق أى من الخشبات المسرحية الموجودة، ذلك لإحداث نوع من التبادل الدائم والممكن بين رد الفعل والفعل" (20).

ومما لا شك فيه أن آلية الاشتغال فى مسرح العلاج النفسى تختلف عن غيرها من الأساليب، وذلك بسبب الاختلاف فى الأهداف التى يتوخاها العرض، وهنا يشكل منهج التعلم الحوارى مرتكزاً أساسياً للاشتغال، حيث يؤسس المخرج المعالج من خلاله أسلوب المواجهة بين المرضى والأصحاء الذى يعتمد نقطة الانطلاق فى أداء الأدوار، إذ تكون كل الحوارات و الأفعال والحركات وحتى الانفعالات مباشرة ودون مقدمات منطقية، "وبذلك يكون الكلام هو إعادة إنتاج فردى للغة الجماعة، حيث يعبر المتكلم عن ذاته فى سياق معين، وبذلك فإن تعبيره هنا يكون خاصاً به، ومعبراً عن وضعيته. ولما كانت الدراما واحدة من الأنشطة الإنسانية الأساسية التى تشمل على اللغة كواحدة من مكونات فعلها وفاعليتها..، فإننا سنركز على فاعليتها فى إنتاج الحوار، وعلى فاعلية الحوار فى إنتاجها أيضاً، ولكننا قبل ذلك كله، علينا أن ننظر إلى الحوار من حيث كونه كلاماً اتصالياً، فحينما يجرى الحديث عن

استبصار العميل بهدف تعديل سلوكه الاجتماعي. وإذا كانت تقنيات السايكودراما تطبق من خلال العمل الجماعي، فإن آلية التطبيق تستدعي تهيئة المرضى لذلك، "فقد لاحظ مورينو أن بعض المرضى لا يستجيبون لإجراءات العلاج بالسيكودراما إلا بعد المرور بعملية تهيئة تتيح لهم درجة عالية من الاستعداد للجلسات العلاجية مثل استخدام الألعاب الجماعية والتمرينات الرياضية والترفيهية، ووجد أن لهذا أثراً طيباً في تهيئة المراهقين والراشدين المشاركين في جلسات العلاج بالسيكودراما، ومن ناحية أخرى قد تكون عملية التهيئة في صورتها التقليدية . في شكل مقابلات يلجأ إليها الموجهون مع أفراد المجموعة في محاولة من جانبهم للتعرف على مشكلاتهم وحتى يصلوا في ذات الوقت إلى مستوى معين من التلقائية يرغب . هؤلاء الموجهون . في الوصول إليه قبل البدء الفعلي في جلسات التهيئة" (26)، لاسيما أن غياب المنطق الدرامي الصارم في استلام وتسلم الحوار والحركات والتوقيت من شأنه أن يضعف التلقائية المنشودة التي يمكن للمريض أن يفصح من خلالها عن دواخله ومكوناته النفسية والشعورية. لقد تأسس جوهر العلاج عند مورينو على الحالة الجماعية التي منحت الفرد الفرصة للتعبير عن نوازه وميوله الداخلية دون افتعال، وبالتالي تمكينه من الانتقال من مجتمعه الذي يعيش فيه والذي يحمل طابع الرفض لسلوكه، إلى مجتمع أكثر تقهماً له، وبالتالي أكثر انسجاماً، ولا تتفصل عملية علاج المرضى عن مبدأ المعاشية الشخصية والشعورية التي تتم بين أفراد الفريق الواحد من مرضى وأصحاء، وحينما تحل المكاشفة بين أفراد المجموعة، فإنها تكشف الحالات النفسية التي يعاني منها المرضى، وقد عزز وضع المريض في حلقة الصراع الدرامي من امكانية البوح بالنسبة له بالأسرار والخفايا النفسية التي لعبت دوراً مهماً في تعقيد أزمتة النفسية، وهكذا انطلق مبدأ العلاج باستخدام الدراما من طبيعة وجود الفرد في المجتمع، فهو قد "يلعب أدواراً متعددة وربما متضاربة على مسرح الحياة، منها دور الطفل ودور الأب والمعلم والصديق والمسيطر والمحب إلى غير ذلك من الأدوار والصفات، غير أن واقع الحياة يحتم علينا أن نلعب هذه الأدوار بالشكل والصورة التي تتوافق مع مقتضياته وقبوده، وهو واقع لا يتيح فرصته للتخلص من الصراعات التي يمكن أن تكمن بين هذه الأدوار المختلفة، وبذلك فإن هذه الصراعات تظل مكبوتة ومحبوسة وقائمة بدون تبديل أو حل، غير أن المريض قد يستطيع مثل هذا التبديل والتخلص، فيما لو تمكن من تمثيل هذه الأدوار المختلفة بشكل تلقائي وفي جو جماعي" (27)، وحينما تتجسّد المجموعة في الكشف عن الشعور الفردي

وأراضه النفسانية، فإن السوسيودراما ترتبط بتمثيل مجموعة من الأدوار المسرحية التي لها علاقة بالمشكلات الاجتماعية وديناميكية الجماعة، وذلك بهدف علاج الأفراد المضطربين نفسانياً داخل جماعات تمثيلية لتحقيق التوازن النفسي لديهم، وتبقى السيكودراما من أشهر أساليب الإرشاد الجماعي وأكثرها فعالية، وهي كذلك تعد أسلوباً تربوياً وتعليمياً، حيث يتم التدريب من خلالها بأساليب تروحية مقربة من النفوس، وذلك لإعادة صياغة الأحداث والمواقف الماضية والمسببة للتوتر والمعاناة بالطرق الدرامية، ومسرحية المشكلات النفسية بهدف التطهير الانفعالي لتحقيق التوافق.

ويرى (ملحم) أن السيكودراما تتميز بما يلي:

حرية السلوك لدى الممثلين (العملاء) وتلقائيتهم.

ينجح النداعي الحر والتنفيس الانفعالي للعملاء للتعبير في موقف تمثيلي فعلي عن اتجاهاتهم وصراعاتهم وإحباطاتهم. تؤدي السيكودراما إلى تحقيق التوافق والتفاعل الاجتماعي السليم والتعلم من الخبرة الاجتماعية.

يرى فيه عدد من المنظرين ابتكاراً من أهم الابتكارات الثورية في الإرشاد والعلاج النفسي.

يكشف التمثيل عن جوانب هامة من شخصية العميل ودوافعه وحاجاته وصراعاته ودفاعاته ومشاعره مما يفيد في فهم ودراسة الحالة وفي عملية الإرشاد.

يدور موضوع قصة التمثيل المسرحي عادة حول خبرات العميل الماضية والحاضرة والمستقبلية التي يخافها ويحتمل أن يواجهها مستقبلاً. من أجل التنفيس الانفعالي وحل الصراع وتحقيق التوافق النفسي ومواقف متخيلة غير واقعية وأخرى تهدف إلى تشجيع فهم الذات بدرجة أفضل" (25).

والسيكودراما كأسلوب من أساليب الإرشاد الجماعي تكتسب أهميتها من كونها تعمل في اتجاهات متعددة وممارستها تفيد في عملية التشخيص والمعالجة الإرشادية والتعليم والترفيه، كما أنه عن طريقها يتم استخدام وتطبيق الفنيات الإرشادية، وتعمل على تنمية المهارات الاجتماعية والخيال والتعاون والمحادثة، وتقوي الثقة بالنفس للخروج من حالة الكبت واطلاق المهارات اللغوية من خلال الأدوار التي يقوم بها العميل (المسترد)، فالتعبير الحر التلقائي عن الصراعات الدفينة يساهم في التخفيف من التوتر واكتساب الاستبصار الذي يؤدي إلى تعديل السلوك في الأدوار الحقيقية، فالعمل هنا يندمج بشكل كامل في المشاهد التمثيلية، ليكون سلوكه معبراً عن أفكاره الحقيقية بتلقائية وحرية كاملة، وبعد الانتهاء من التمثيل يبدأ المسترشد والمتفرجون بمناقشة أحداث التمثيلية والتعليق عليها، ويقوم المرشد النفسي بتفسير دينامياتها ومضامينها مما يساهم في

2. المناقشة: وهي سمة أساسية من سمات المجتمع الديموقراطي، وهي موقف مخطط يشترك فيه مجموعة من الأفراد، تحت توجيه وإشراف قيادة معينة، لبحث مشكلة محددة، بطريقة منظمة، يعرف كل فرد فيها دوره، بهدف الوصول إلى حل لتلك المشكلة، يقوم على جمع المعلومات والبيانات المتعلقة بالمشكلة وتحليلها وتفسيرها وتقويمها للتوصل إلى أفضل الحلول.

3. الخطابة والقدرة على إلقاء الكلمات.

4. الحوار: ويعد مجالاً فعالاً ومفيداً في التدريب على امتلاك مهارات التواصل الشفوي والتفاعل الاجتماعي بين الشخصيات، فهو يشكل سلوكاً تعاونياً لطرح المشكلات والتعبير عن الآراء وصولاً للأهداف المنشودة " (29).

وإذا كانت وظائف الحوار تكمن في عملية التواصل الشفوي، فإنه يعد في المسرح عنصراً مهماً في عرض الأحداث وتطوير الشخصيات وشرح الفكرة العامة للنص، وأداة البناء العام للشكل المسرحي، وبذلك فهو يحقق القدرة على إستيضاح ما يدور في دواخل الشخصيات وإدراك طبيعة عواطفها وأفكارها وإتجاهاتها من خلال جريان الأحداث. "إن الحوار المستند إلى بناء الشخصية الدرامية هو المحور الأساس لإنتاج الفعل الدرامي، إضافة إلى تحديد تلفظاتها في مكان وزمان معينين، وفي سياق فعل أو أفعال محددة، إن تكوين زوايا النظر المختلفة يتم هنا من خلال تأطير المسافة بين الشخصية والحدث من خلال العلاقة المباشرة والظاهرة مع الحدث المبني على الموقع الاجتماعي أو الوظيفي للشخصيات، ومن خلال الانتقال إلى طبقة أخرى، حيث تمثل ذلك في اختلاف الشخصيات الإنسانية في تفاعلها العقلي والشعوري والمادي مع الحدث مع أنها تنتمي إلى وضعية اجتماعية مشتركة" (30).

لقد ارتكز مورينو في تجاربه العلاجية على بنية الدراما في النص الأدبي، وجعلها تقترب من منظوره ومرجعياته النفسية، لاسيما وأن فلسفة العلاج بالسيكودراما تنهض على حقيقة " أن الإنسان المضرب هو في حقيقة الأمر يعاني من اضطرابات انفعالية، وأن هذه الاضطرابات تجبره على الانطواء والعزلة، بل والخوف من التفاعل مع الآخرين، أو هنا يتيح له العلاج السيكودرامي الجمعي الفرصة للشخص أن يتجاوب ويتفاعل حتى وإن كانت لغة الاتصال هي الإيماءات والإشارات، وبعبارة جامعة لغة الجسد، ثم يصبح في النهاية وسيلة. يكون قد تدرب عليها واكتسبها. للتعامل الناضج مع الآخرين. وما الجماعة العلاجية في السيكودراما إلا بروفة مصغرة للجماعات الكبيرة التي سيتعامل معها في المجتمع الأوسع" (31).

إن إجماع المريض عن الحديث عن حالته بطرق واضحة

للمريض، عبر حالة التداخي التي تبين حقيقة دواخله، فإن الطبيب المعالج يتمكن من التوصل إلى الأسباب والعوامل التي تقف خلف الأزمة النفسية للمريض، والتي ظل يكتبها فترة من الزمن مما أدى إلى أحداث الخلل في شخصيته، وعدم انسجامه مع المجتمع الذي يعيش فيه.

إن السيكودراما عند مورينو تأخذ سياقات المسرح التفاعلي الذي يشكل مسرحاً ملتزماً داخل المجتمع يقوم على قلب أسس المسرح التقليدي، وقد جاء المسرح التفاعلي للبحث عن أفق لحل المشكلات في العالم، حيث تعامل مع المتفرج بطريقة مختلفة عندما حدد سلفاً نوعية هذا المتفرج، وتوجه إليه مباشرة مدركاً ما يريد منه سياسياً واجتماعياً، وعبر مبدأ الارتجال واللعب حاول المحافظة على مبدأ متعة المتلقي، من خلال تحقيق نظام للمشاركة بينه وبين الممثل ليبدو المتفرج بذلك متورطاً في اللعبة المسرحية في كل مراحلها ومناقشاً لما يراه عبر حوار يرتبط بموضوع محدد، وهذا يفرض تعديلات جوهرية على النص والعرض المسرحي ومهمة الممثل وأدائه، وطبيعة المواضيع المطروحة التي ترتبط أساساً بالأمور الحيوية التي يعيشها الناس.

لقد اعتمد مورينو في عمله المسرحي على منهج التعلم الحوارية الذي يعتمد انتاج شخصيات متعددة لها أصوات متعددة تعرض مجموعة من الرؤى ووجهات النظر حول قضية ما، "إن هذا البناء المتعدد الأصوات يؤدي إلى تحرير المشاركين من الامتثال الآلي لرؤية أحادية الجانب، فالتحرك بحرية بين عدد من الرؤى والأصوات المتشابهة والمتصارعة، يمنح الفعل الدرامي حيوية وديناميكية، ويعمق البعد الحوارية وتعددية مراكز الوعي الاجتماعي المتمثلة أصلاً في الواقع الخارجي" (28)، وكل ذلك يأتي بهدف تخليص المشاركين من واقعهم النفسي والاجتماعي السيء، عبر قيام الجماعة بأحداث التغيير في سلوك أفرادها، وبالتالي تغيير العلاقات التفاعلية المتبادلة بين هؤلاء الأفراد وبما يعزز الناحية الإيجابية.

والمنهجية التي يعتمدها هذا النوع من التعلم تقوم على التواصل الشفوي في أغلب الأحيان، حيث يتحادث الناس لتحقيق أغراض متعددة لقضاء حوائجهم والتعبير عن ميولهم الفكرية والعاطفية، وتبادل المعلومات والبحث عن حلول لبعض المشكلات وغيرها، ويمكن تحديد مجالات ومواقف عملية التواصل الشفوي في عدد من الأنماط منها:

"1. المحادثة: وهي مناقشة حرة تلقائية تجري بين فردين أو أكثر حول موضوع معين، وهي وسيلة من وسائل تدريب المشاركين على عملية التواصل اللغوي، وتطوير قدراتهم في التفاعل الاجتماعي، وإتاحة الفرصة أمامهم للتعبير عن أنفسهم.

الأبطال، وأثناء ذلك تؤدي الجماهير دورها في عقد المقارنات، وإجراء التعديلات، وكان يعقب هذا كله مناقشة" (34).

لقد أفادت السيكدوراما من تقنيات الأداء التحويلي الذي يقوم المشاركون من خلاله بالتفافز من دور إلى آخر ومن أسلوب إلى أسلوب آخر، حيث يتعدد إنتاج المعاني ويتسع أفق المعنى الواحد، عبر خلق حالة تفاعلية بين خبرة المشارك والمواقف التي يرتجلها في العرض، وبما يتوازى مع الناحية التعليمية للمنجز المسرحي، "إن وضعية الارتجال الدرامي كإطار عام للأعراف الدرامية...، سنتهم بالاحاطة بكل أبعاد اللغة في سياقها الاجتماعي (الكلام الشفوي والكتابي، التلقائي والمخطط له، الذاتي والموضوعي، الواقعي والتخيلي..)، فالارتجال سينشئ علاقة قريبة جداً من الواقع، حيث تنشأ صور كثيرة، بعضها يحمل في أحشائه إمكانية نموه وتطوره، وبعضها الآخر يحمل معه علامات موته وانتهائه، استناداً إلى مبدأ الانتقاء والاقصاء الذي تعمل ضمنه الطبيعة البشرية" (35)، وبما أن السيكدوراما تعتمد تقنية المناقشة، فإنه يمكن أن توصف بأنها مسرح جدلي لكونها تشجع المعالجين على التدخل في بنية العرض المسرحي عن طريق الحوار والمناقشة.

إن منهج التعلم الحوارية في السيكدوراما يظهر من خلال عدد من الطرق والفنيات التي تم اعتمادها من قبل مورينو بهدف مساعدة بطل الرواية والمجموعة المشاركة بجلسات العلاج (العرض)، ببناء مواقف للمشكلة المراد حلها عبر حالة من التلقائية، والفنيات المستخدمة هنا هي "فنيات كلبنيكية يتم توظيفها بإحداث الحد الأقصى من الابتكارية، والانتاجية، والتوجيه العلاجي في كل جلسة من جلسات السيكدوراما. ولقد تم التوصل إلى هذه الفنيات الخاصة بالعرض السيكدورامي من خبرات وتجارب سنين طويلة، ومن هنا يتم تطبيق الفنيات الملائمة في أثناء العرض في اللحظة التي تبدو عندها أن هذه الفنيات ذات ضرورة، وبالتالي لا يتم التخطيط عادة لاستخدام هذه الطرق وتلك الفنيات مسبقاً، ولذلك فمن الضروري أن يكون الموجه حساساً للعرض الذي تقوم به المجموعة، ذلك أن استخدامه لهذه الفنيات يعد بمثابة الومضة أو الشرارة التي تزوده بالتأييد والتي تكون سبباً في إحداث الاستبصار عند بطل الرواية، وأيضاً عند الأعضاء الآخرين في المجموعة" (36).

لكن منهجية التعلم الحوارية تبقى منهجية طاغية في طرق وفنيات السيكدوراما، إذ "يلعب الحوار دوراً مركزياً في بناء المعرفة، فإذا كان الحوار هو تفاعل بين خبرتين تنتجان خبرة جديدة، فإن الخبرة تتحقق من خلال انخراط الفرد في نشاط فردي أو جمعي، ويفضي هذا الانخراط إلى اكتساب المعلومات

ومنطقية من شأنه أن يعزز من أزمته النفسية، ولكن الدراما حلت هذا الأشكال؛ لكونها وسيلة تتغلغل داخل الفرد وتدفعه للبوخ والتصريح عن معاناته مع الأشخاص الذين يقفون أمامه ويذكرونه بمعاناته ومشكلته، فهذه المنهجية مكنت المريض من امتلاك اللغة التي تحدد طبيعة معاناته ومرضه، وهي تقوم على خمسة عناصر أساسية هي: "المسرح، المريض، المخرج، الهيئة المساعدة، والحضور. فالمسرح يعطي الفرد الفرصة للتعبير عن نفسه بحرية، سواء أكان يقوم بتمثيل دور أم يستعيد مشهداً سابقاً في حياته أم مشكلة حالية قائمة، أما المخرج فمهمته أن يكون مخرجاً ومعالجاً ومحللاً في آن واحد، أما الهيئة المساعدة فتساعد المخرج بتمثيلها الأدوار اللازمة لشخصيات تقع ضمن التجارب الحياتية للمريض، أما الحاضرون فأنهم يمثلون الرأي العام، وتتاح لهم فرصة مشاهدة مشاكلهم وهي تعرض أمامهم" (32).

إن المقتضيات العلاجية قد جعلت الممثلين لاسيما المرضى منهم، في مواجهة مباشرة مع الجمهور، حيث ترك لهم المجال لإطلاق حواراتهم، والتعبير عن انفعالاتهم لتحقيق عملية الكشف عن المستور في دواخل الشخصية المريضة، وبالتالي رصد أبعاد المعاناة التي تعيشها، التي تصبح مع استمرار إجراءات السيكدوراما مصدراً لبناء الشخصيات والأحداث المسرحية التي يطغى عليها الارتجال وعدم الالتزام بالنص المكتوب. إذ "لم يكن هناك أية سكريبتات، مكتوبة، كما لم يكن هناك أي مؤدين محترفين أو منظور جمالي ما، أو منظر مسرحي معين، فقد كان أفراد الجمهور العاديين يكونون مع بعضهم البعض سيناريوهات تتناول المشاكل النفسية الشخصية والتي تشكل في ذات الوقت هماً عاماً للجماعة، وكانوا يعدلون من أدائهم بناء على مقترحات، أو بدائل يطرحها أولئك الذين حولهم" (33).

وحتى تفسح السايكدوراما المجال أمام المشاركين للإسترسال الإنفعالي والتحاور، ومن ثم التداوي الحر، فقد ألغت الحواجز بين المرضى وجمهورهم، واعتمدت تقنية الارتجال من قبل المرضى، والمعالجين لتحرير الانفعالات من كوامنها الشعورية واللاشعورية، "وقد عكست تلك البنية المسرحية التي طورها مورينو هذين العنصرين المطلوبين: التلقائية والمساواة. تقوم المرحلة التمهيدية الأولى لهذه البنية المسرحية على تحرير عوامل الكشف، ومحاولة إيجاد مشكلة مشتركة، واكتشاف أكثر الأفراد ملائمة للقيام بدور البطل؛ ثم يتبع ذلك سلسلة من المواقف التي تؤدي ارتجالياً واللعب الحر للعقل الباطن؛ وفي أثناء ذلك يؤدي الأبطال المحوريون دور الذات، ويؤدي آخرون أدوار الذوات المساعدة، أو خصماء

العرض للوقوف على طبيعة بعض الأمور المرتبطة بالتجربة العلاجية، وهكذا تشكل تقنية لعب الأدوار إعادة صياغة للأحداث والمواقف الاجتماعية التي تكمن في دواخل المرضى، ومعالجتها لتمكينهم من أن يكونوا على سوية تساعدهم على الخروج من أزمتهم. ويمكن أن يستخدم قلب الدور في أي غرض مما يلي:

أ- يبدأ قيام بطل الرواية بلعب الدور الوثيق الصلة بفرد آخر في أغلب الأحيان عندما يستشعر البطل، ويفهم موضع هذا الآخر ومكانته، وردود أفعاله في الموقف الدرامي، ومن هنا فمن الممكن أن يضيف لعب البطل لهذا الدور فاعلية أكبر، وحساسية هادفة، وهما: الفاعلية والاحساس الهادف. الطريقتان الأساسيان للمشاركة الوجدانية.

ب- وربما يستخدم قلب الدور في معاونة بطل الرواية على رؤية، وفهم نفسه كما لو كان يرى نفسه في مرآة، فالزوجة حين تلعب دور زوجها، سوف ترى نفسها من خلال هذا الإدراك. وهذه الوسيلة لها أثر في إحداث الاستبصارات لتحقيق فهم أفضل لبطل الرواية كما يرى نفسه من خلال عيون الآخر الذي يمثل دوره.

ج- يكون قلب الدور في الغالب ذا تأثير وفاعلية في زيادة التلقائية عند بطل الرواية، وذلك من خلال نقل أو تحويل دفاعاته. وعلى أية حال فإنه بصفة عامة يساعد قلب الدور في فهم بطل الرواية للآخرين في الموقف الدرامي، وذلك لأنه يعيش أدوارهم وهم يعيشون دوره، فكأنه قد أصبح هم، وكأنهم أصبحوا بطلا مكانه.

د- يستخدم قلب الدور حين يراد معاونة الأنا المساعد على فهم أفضل لكيفية القيام بدوره وبصفة خاصة في مواقف محددة، فعلى الأنا المساعد، والذي لا يكون موجودا في المشهد الحقيقي في هذه المواقف، وأن يحاول أن يفهم بالتطلعات اللازمة كحاجات يتم إسقاطها عن طريق العميل أو الحالة "(40).

3. مناجاة النفس: تعد تقنية المناجاة إحدى التقنيات التي تستخدم في الفن المسرحي، حيث يتخذها الممثل وسيلة للتعبير عن الأفكار والأحاسيس والمشاعر الكامنة في داخله عن طريق البوح والافضاء، والمناجاة هي مونولوج أو "خطبة تلقاها الشخصية المسرحية وحدها على انفراد أو على مشهد من الحضور، تكشف فيها عن خبايا النفس وما تنوي فعله، أو تشرح فيها أمراً من الأمور" (41).

وتستخدم تلك التقنية في السيكودراما؛ لتحقيق البوح للإظهار والكشف عن دواخل الشخصية، إذ إنه في مناجاة النفس يؤدي المريض دوره في المشهد الدرامي معبراً عن

من خلال الملاحظة أو الكلام أو أية مادة قرائية مطبوعة أو مادة فنية بصرية. وتسهم هذه المعلومات في تنمية الفهم الذي يمثل الغاية التي يتطلع إليها التعرف. وبذلك يتحقق بناء المعرفة" (37)، وبما يتوافق مع الأهداف العلاجية للتعلم الحواري، حيث تلعب الممارسة المسرحية للمشاركين دورها في انتاج الحوار عبر استخدام الخبرة الذاتية لتعزيز الفهم لآليات العلاج.

وهناك عدد من الطرق والفنيات التي اعتمدت منهج التعلم الحواري في السيكودراما، ومن بينها:

1. تأويل الأداء المعوق: "حيث يتم فيه اعتراض الأداء ومقاطعته أثناء قيام المجموعة به" (38)، وذلك عبر تقنيات ممنهجة من الارتجال الذي يسمح للمشاركين بالمناقشة، وتطوير قدراتهم الأدائية، مما يسهم في رفع مستوى الفائدة من العملية المسرحية العلاجية.

2. قلب الدور: وهذه الطريقة من الطرق التي استخدمت في السيكودراما، فقد يمثل الفرد الأول دور الفرد الثاني أو العكس، أو قد يقدم الزوج (بطل الرواية) دور زوجته، أو تقدم الزوجة دور الزوج لتحل محل زوجها وتصبح بطل للرواية، وإذا كان رائد المسرح الملحمي برتولد بريخت قد اعتمد تقنية تعدد وتبادل الأدوار فيما بعد كآلية من آليات التطبيق في المسرح الملحمي، فإن استخدامها قد جاء في السيكودراما وبما يتوافق مع مايقضيه الموقف العلاجي.

إن تقنية قلب أو لعب الأدوار في السايكودراما يمكن أن تتم بطرق مختلفة، " فعلم الاجتماع يشير إليه على أنه تمثيل فرد ما دوره العلني، في حين أن علماء النفس غالباً ما يستعملونه كشكل من أشكال العلاج النفسي حيث يقوم الفرد بتمثيل دور اجتماعي غير دوره المألوف (دور مفترض)، أما علم النفس الاجتماعي فقد يعتمد كلا التعريفين باعتبارهما طريقة اختبارية تهدف إلى تشخيص ومعالجة مشاكل الشخصية الاجتماعية سواء عبر ما يصطلح على تسميته بالسيكودراما.. حين يطلب من المريض النفسي أن يلعب أمام جمهور حالة أو موقف مر به من قبل ولم يتمكن من استيعابه، وهي طريقة تساعد هذا المريض على تطوير مشكلته النفسية من خلال تجريب دور جديد لنفسه، أو يتقمص دور شخص آخر لم يألفه من قبل. أو سواء عبر السوسيودراما (الدراما الاجتماعية) وفيه يتم التركيز على مجموعة من الأفراد تقوم بأداء دور درامي في جو من الحرية المطلقة" (39).

ويطغى عنصر اللعب على هذه التجربة، وهذا سياق يعزز التلقائية في الاشتغال المسرحي، وبعد أن يقوم المريض بالكشف عن المستور في دواخله النفسية، تتم مناقشة تفاصيل

(45).

6. الشبيه / الممثل / الدوبلير: وهذه الفنية يتم من خلالها تعزيز الأنا الآخر من خلال تقديم الأنا المساعدة لدور خاص يعبر عن دواخل المريض، وعن أحاسيس وانفعالات البطل الداخلية، وتكمن وظيفة الشبيه في: "استثارة التفاعل عن طريق تسهيل عرض الخبرة النفسية للبطل وزيادة طاقتها القصوى.

تزويد البطل بالتدعيم اللازم، والذي يساعده كي يتبروز كثيراً من العوائق والمخاطر ليدخل إلى التفاعل بطريقة كاملة" (46).

إن الشبيه يتم اختياره من أفراد المجموعة، وهو فرد ينبغي له أن يحظى بثقة البطل، وأن يطمئن له حتى يتقبل المساعدة منه حينما يستدعي الأمر ذلك، فعندما يفقد البطل القدرة على التعبير عن مشاعره، يتدخل الشبيه ليتمكن من ذلك، حيث يعمل على تحقيق التدعيم الوجداني له في موقف صعب، أو انقاذه حينما يخفق في محاوره الآخرين، أو عندما يحتاج لقوة تمكنه من تجاوز الضعف والحشجة في صوته.

#### نتائج الدراسة

1- أخذ المنهج الحواري دوره في علاج المرضى النفسانيين لاسيما في السايكودراما، وقد أخذ أشكالاً متعددة ووجهات نظر مختلفة واكبت تطورات العصر، وتغلّبت على كثير من المشكلات الاجتماعية والنفسية التي طرأت على المجتمع عبر تنمية المهارات الاجتماعية والخيال والتعاون والمحادثة، وتقوي الثقة بالنفس للخروج من حالة الكبت واطلاق المهارات اللغوية من خلال الأدوار التي يقوم بها العميل (المسترشد)، وذلك لتخفيف التوتر واكتساب الاستبصار الذي يؤدي إلى تعديل السلوك في الأدوار الحقيقية.

2- ترسخ منهج التعلم الحواري في غايته العلاجية في السيكودراما بوصفه طريقة تعليم (جماعي، تبادلي، تصاعدي) يساعد المتعلمين في التعبير عن أفكارهم بحرية للتوصل إلى فهم مشترك، حيث يؤسس المخرج المعالج من خلاله أسلوب المواجهة بين المرضى والأصحاء الذي يعتمد نقطة الانطلاق في أداء الأدوار، إذ تكون كل الحوارات والأفعال والحركات وحتى الانفعالات مباشرة ودون مقدمات منطقية.

3- إن السيكودراما تؤسس وعبر منهج التعلم الحواري لخلق علاقة مباشرة مع الجمهور وتعزيز مبدأ المشاركة، وهي تسعى لتحقيق التطهير النفسي عن طريق التنفيس واكتساب أنماط سلوكية جديدة، فهي تقنية علاجية، وقائية، تعليمية، تدريبية.

الخلجات التي تعتمل في نفسه، وهو "في خضم حياته الواقعية لا يستطيع التعبير عن أفكاره تعبيراً لفظياً كما يعبر عنها هو بمفرده، لكنه دائماً يفكر في نفسه. وعند استخدام هذه الفنية يعطيه المعالج أو الموجه السيكودرامي تعليمات بأن يتكلم بصوت مرتفع بينما هو يمشي، فيوضح ما يفكر فيه وما يشعر به في هذه اللحظة بالذات (لحظة مناجاته لنفسه) لمبدأ هنا والآن" (42).

4- المرأة: يمكن تطبيق فنية المرأة من خلال قيام الأنوات المساعدة بتصوير وتجسيد دور البطل، وبالتالي تهيئة الامكانات له لرؤية نفسه عبر تأدية دوره وتجسيده من خلال الآخرين في مواقف وثيقة الصلة به.

إن فنية المرأة تستخدم حينما يكون هناك ما يشير إلى أن فهم البطل لنفسه في الأداء، كما لو كانت تلك الرؤية في مرآة سيكولوجية، سوف يكون منتجاً ومثراً بالنسبة له، وهذه الفنية يمكن أن تساعد الحالات الانسحابية على أن تنهياً لتقديم نفسها وفيها يتم تشجيع البطل دائماً على أن يعلق ويعقب ويقوم بردود أفعال، ويلعب دور المعالج المساعد أحياناً دور المرأة، ومن حين لآخر يشترك بطل الرواية ويقدم نفسه، ويضطلع بدوره الخاص نيابة عن الأنا المساعد عندما يعد دوره إعداداً كافياً، وهناك استخدام آخر لفنية المرأة، حيث يجلس فيه العميل وسط جمهور المشاهدين، وتقدم مشاهد تعكس طبيعة المجتمع الإنساني ونقاط الضعف لدى الأفراد على المستويين الخلفي والسلوكي، لتعكس المسرحية بذلك الطابع البشرية أمام العميل، فيتعرف من خلالها على مشكلاته الخاصة وطرق الوصول لحلها (43).

وفي حالة عجز المريض عن التعبير عن نفسه، تسهل له فنية المرأة ذلك بصورة أقرب إلى أسلوب النداعي الحر، " وهذه الفنية تفيد البطل (المريض) في إعطائه (فيد باك) تجاه سلوكه وأفعاله وحركات جسده بصفة خاصة، وألفاظه ومخارجها بصفة عامة ويريد من بصيرته كيف يدرك الآخرين سلوكه، ولا شك أن ذلك يمنح الشخص الاستبصار على تعديل سلوكه" (44)، وبالتالي إمكانية التحرر من الحالة النفسية التي تسيطر عليه، وتجاوزها باتجاه البحث عن مخرج علاجي.

5. أسلوب النمذجة أو التعلم الاجتماعي: وقد تم اشتقاق هذه الفنية من نظرية التعلم الاجتماعي لـ (باندورا)، وتتلخص في أنه " لكي نعلم الشخص سلوكاً معيناً فلا بد أن يكون هناك نموذج يقلده الشخص، سواء بمساعدة الأنا المساعدة للمخرج (المعالج)، أو بواسطة عرض فيلم سينمائي، ثم التدريب على السلوك الذي تم مشاهدته توا عن طريق لعب الدور وتلقي تدعيم اجتماعي من المخرج ومن أعضاء الجماعي الآخرين"

لاسيما المرضى منهم، في مواجهة مباشرة مع الجمهور، حيث ترك لهم المجال لإطلاق حواراتهم، والتعبير عن انفعالاتهم لتحقيق عملية الكشف عن المستور في دواخل الشخصية المريضة، وبالتالي رصد أبعاد المعاناة التي تعيشها.

8- أفادت السيكدوراما من تقنيات الأداء التحويلي الذي يقوم المشاركون من خلاله بالتفافز من دور إلى آخر ومن أسلوب إلى آخر، حيث يتعدد إنتاج المعاني ويتسع أفق المعنى الواحد، عبر خلق حالة تفاعلية بين خبرة المشارك والمواقف التي يرتجلها في العرض، وبما يتوازى مع الناحية التعليمية للمنجز المسرحي.

9- ظهر منهج التعلم الحوارية في السيكدوراما من خلال عدد من الطرق والفنيات التي تم اعتمادها من قبل مورينو بهدف مساعدة بطل الرواية، والمجموعة المشاركة بجلسات العلاج (العرض)، والفنيات المستخدمة هنا، هي فنيات كينيكية يتم توظيفها بإحداث الحد الأقصى من الابتكارية، والانتاجية، والتوجيه العلاجي في كل جلسة من جلسات السيكدوراما. وهناك عدد من الطرق، والفنيات التي اعتمدت منهج التعلم الحوارية في السيكدوراما، ومن بينها: تأويل الأداء المعوق، قلب الدور، مناجاة النفس، فنية المرأة، أسلوب النمذجة أو التعلم الاجتماعي، الشبيه وغيرها

4- تحقق السيكدوراما كأسلوب من أساليب الإرشاد الجماعي التشخيص والمعالجة الإرشادية والتعليم والترفيه، كما أنها تستخدم وتطبق الفنيات الإرشادية وتعمل على تنمية المهارات الاجتماعية والخيال والتعاون والمحادثة، وتقوي الثقة بالنفس للخروج من حالة الكبت وإطلاق المهارات اللغوية من خلال الأدوار التي يقوم بها العميل.

5- تأسس جوهر العلاج عند مورينو على الحالة الجماعية التي منحت الفرد الفرصة للتعبير عن نوازه وميوله الداخلية دون افتعال، وارتبط العلاج بمبدأ المعاشية الشخصية والشعورية التي تتم بين أفراد الفريق الواحد من مرضى وأصحاء، وقد عزز وضع المريض في حلقة الصراع الدرامي من امكانية البوح بالنسبة له بالأسرار والخفايا النفسية التي لعبت دورا هاما في تعقيد أزمته النفسية.

6- أخذت السيكدوراما عند مورينو سياقات المسرح التفاعلي الذي يشكل مسرحا ملتزما داخل المجتمع يقوم على قلب أسس المسرح التقليدي، وقد جاء المسرح التفاعلي للبحث عن أفق لحل المشكلات في العالم، يعتمد إنتاج شخصيات متعددة لها أصوات متعددة تعرض مجموعة من الرؤى ووجهات النظر حول قضية ما.

7- جعلت المقتضيات العلاجية في السيكدوراما الممثلين

## المصادر والمراجع

### المراجع العربية:

رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، اربد. الأردن.

زكي، احمد، (1988)، المخرج والتصور المسرحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

سليمان، عبد الرحمن سيد، (1994)، السيكدوراما: مفهومها وعناصرها واستخداماتها، حولية كلية التربية، العدد 11، جامعة قطر.

السندي، بدر خان، (1987)، السايكو دراما مسرح العلاج النفسي، مجلة آفاق عربية، ع10، تشرين الأول، دار آفاق عربية، بغداد.

سوين، ريتشارد. م، (1979)، علم الأمراض النفسية والعقلية، ترجمة. أحمد عبد العزيز سلامة، دار النهضة العربية، القاهرة.

طربية، مأمون، (2014)، تقنيات البحث الخاصة في علم النفس الاجتماعي، ط1، دار النهضة العربية، بيروت.

عيسوي، عبد الرحمن، (1979)، العلاج النفسي، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية.

غانم، محمد حسن، (2003)، العلاج النفسي الجمعي بين النظرية والتطبيق، كتب عربية، القاهرة.

فاضل، تامر، (1992)، الصوت الآخر: الجوهر الحوارية للخطاب الأدبي، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

فرايري، بولو، (1980)، تعليم المقهورين، ترجمة. يوسف نورعوض، ط1، دار القلم، بيروت.

الكردي، وسيم، (2003)، المشكالية: نحو حوار حوارية من الصوت

ابراهيم، جمعة حسن، (1987)، دراسة فاعلية مجموعات الوسائل المتعددة لتدريس الكيمياء، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة دمشق.

أبو صواوين، راشد عطية، (2005)، تنمية مهارات التواصل الشفوي . التحدث والإستماع، ط1، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة.

أبو طالب، أسامة، (2015)، المونودراما والمونولوج . ملاحظات حول درامية الخطبة والمناجاة والإفضاء والبوح، مقدمة مسرحية سيبيريا، العدد 377، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

أبو بكر، مدحت، (2005)، منهجي في فن الاشتباك السيكدورامي بين الممثلين والمشاهدين، ط1، منشورات أكاديمية الفنون، القاهرة.

اينز، كريستوفر، (1996)، المسرح الطبيعي، ترجمة. سامح فكري، مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي، القاهرة.

حجازي، مصطفى، (1989)، التلخف الاجتماعي سيكولوجية الانسان المقهور، ط5، معهد الانماء العربي، بيروت.

الحفني، عبد المنعم، (1978)، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، مكتبة مدبولي، القاهرة.

ربابعة، فراس محمد، (1999)، الحوار النبوي في العهد المدني،

- New York.
- Bakhtin, M.M. (1997). *Problems of Dostoevsky's Poetics*, Caryl Emerson, (ed.) & tr. Seventh edition. Minneapolis: University Minnesota Press.
- Greenberg, Ira A. (1994). *Moreno Psychodrama and the Group,process* (In) *Psychodrama theory and therapy*, Souvenir press (Educational and Academic), Ltd, Acondor Book.
- Levy Moreno. (1967). *Jacob Das stegreiftheate*, Postdam 1924, 3- Cit-in Paul Portner. *Theatre Heute*.
- المفرد إلى الأصوات المتعددة، مؤسسة عبد المحسن القطان، مركز القطان للبحث والتطوير التربوي، ط1، رام الله.
- كمال، علي، (1988)، النفس انفعالاتها وأمراضها وعلاجها، ج2، دار واسط، بغداد.
- ملحم، سامي، (2007)، *مناهج البحث في التربية وعلم النفس*، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان.
- ويلسون، جلين، (2000)، *سيكولوجية فنون الأداء*، ترجمة. شاكر عبد الحميد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
- المراجع الأجنبية:**
- Alexander, R. J. (2006). *Towards dialogic teaching* (3rd ed.)

## **Dialogic Learning the Mechanism of its Utilization In the Psychodrama of Jacob Moreno**

*Miryana M. Al-Alawneh, Yahya S. Isa \**

### **ABSTRACT**

This study aims at defining Dialogic Learning discipline and the mechanism of its utilization in the psychodrama of the psychological scientist Jacob Moreno. The research handled a number of methods and techniques that built upon the Dialogic Learning discipline such as: delayed performance interpretation, role reversal, soliloquy, mirroring, role-modeling, or social learning among others. This study could achieve benefits for academic institutions that are concerned with Theatre, Education, and Psychology, as well as for researchers in the psychological, educational and theatrical domains through dedicating the dialogic learning as psychotherapy through theatrical performance.

**Keywords:** Dialogic Learning, Psychodrama, Interactive Theatre, Oral Communication.

\* School of Education, The University of Jordan, Jordan (1). School of Arts and Design. The University of Jordan, Jordan (2). Received on 08/03/2016 and Accepted for Publication on 16/06/2016.